دراسة تحليلية لرواية مأساة العَبيد
على ضوء خصائص الأدب الإسلامي

رحمة أحمد حاج عثمان* وعبد الكريم عيسى الصارم**

ملخص البحث

هذه المقالة تتناول قصة مأساة العبيد لرئيس وزراء نيجيريا الأسبق، وتسلط الضوء على الحقائق التاريخية التي خلفها الاستعمار، من بيع الرقيق وما تبع ذلك من معاناة شديدة، وما ذاقته النساء والأطفال من سوء العذاب في بلاد الهوسا النيجيرية. وتحلل وجوه انتقاد الكاتب هذه الظاهرة، وتشرح أبرز عناصرها على ضوء خصائص الأدب الإسلامي. وتقف على شخصيات القصة لتعترف أنواعها، وما هو مدلول الأسماء فيها، ورموز القصة، ودور المرأة فيها.

الكلمات المفتاحية: مأساة العبيد، بلاد الهوسا النيجيرية، النساء، والأطفال، الأدب الإسلامي.

Abstract

A Muslim literary writer is characterized by his words and deeds and his highest objective of seeking pleasure of God in performing his duty as a writer towards his fellow men, the universe and life. This article describes the story of "*Tragedy of Slaves*" written by the former Nigerian Prime Minister; it sheds light on the historical facts of colonialism, from the sale of slaves and their suffering to the harsh treatment that women and children suffered in the land of Hausa, Nigeria. The research analyzes the criticism of the writer of this phenomenon and explains its main elements in the light of the Islamic literature. It studies the characters and personalities of the

* أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، ونائبة عميد كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية للدراسات العليا، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

** طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ومحاضر بكلية التربية الفيدرالية، بنكشن، ولاية بلاتو نيجيريا.

story to know their kinds, meaning of their names, symbols of the story, and the role of women therein.

Key words: Novel, Islamic literature, Alhaji Abubakar Tfawy Blaoy, tragedy of slaves, story

Abstrak
Penulis sastera Islam dicirikan oleh perkataannya dan perbuatannya objektifnya yang tertinggi adalah untuk mencari keredaan Allah (swt) dalam melaksanakan tugasnya sebagai seorang penulis ke arah manusia, alam semesta dan kehidupan. Artikel ini menghuraikan kisah "Tragedy Of Slaves" yang ditulis oleh bekas perdana menteri Nigeria; ia memberitahu sedikit tentang fakta-fakta sejarah penjajahan, dari penjualan hamba dan penderitaan mereka terhadap layanan yang kasar yang dideritai oleh wanita dan kanak-kanak di tanah Hausa, Nigeria. Kajian ini menganalisis kritikan terhadap penulis fenomena ini dan menerangkan elemen-elemen utama dalam kesusasteraan Islam. Ia mengkaji watak-watak dan personaliti cerita untuk mengetahui jenis mereka, maksud nama-nama mereka, simbol cerita dan peranan wanita di dalamnya.

Kata Kunci: Novel, Kesusasteraan Islam, Alhaji Abubakar Tfawy Blaoy, Tragedi Hamba, Cerita

مدخل:

استنادًا إلى ما ذكره سيد قطب تعريفًا لمفهوم الأدب الإسلامي حين قال بأنه "تعبير موحٍ عن قيمٍ حيّةٍ ينفعل بها ضمير الفنان ... هذه القيم ... تنبثق عن تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض"[1]؛ يفهم أنّ العمل الأدبي على شقين:ما يختلج في وجدان الأديب من خيال أو فكرة أو تصوير لمعنى من معاني الحياة، ثم طريقته للتعبير عنه نثرًا أو شعرًا، وهذا الذي سماه الدكتور صالح بيلو حين تعرض لتعريف الأدب الإسلامي بالتجربة الشعورية والتعبيرية؛ فاسمعه يقول: "فالعمل الأدبي

[1] قطب، سيد، **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**، (بيروت، دار الشروق، د.ت)، ص8.

يعتمد... على جزئيتين اثنتين لا يقوم بغيرهما، هما: "التجربة الشعورية، ثم التعبير عنها تعبيرًا موحيًا جميلاً" ويراد بالتجربة المذكورة: "انفعال الأديب والفنان بمؤثر ما، أو موقف من المواقف، يتحرك له وجدانه، فيسعى إلى التعبير عنه تعبيرًا جميلاً مؤثرًا في نفوس الآخرين، لينفعلوا مثل ما انفعل هو"[2]. فهذان الجزءان لا يكفيان في تمييز الأديب المسلم عن غيره؛ لذا يرى نقاد الأدب الإسلامي من وضع بعض الخصائص يتميز بها المسلم من غيره، ومن ذلك ما ذكره سيد قطب لما تعرض لتعريف الأدب الإسلامي وقال هو: "التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية التي تمتلئ بالإيمان والوحي"[3] ويسانده أخوه في هذا الرأي بقوله: "...هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان، هو الفن الذي يهيئ اللقاء بين الجمال والحق. فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال. ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود"[4]. وقصة مأساة العبيد خير نموذج في توضيح تلك الخصائص، وهي قصة كتبت بلغة الهوسا النيجيرية لأبي بكر تفاوى بليوى أول رئيس وزراء نيجيريا في عهد الاستقلال وأسماها "الشيخ عمر".

نبذة عن حياة الحاج أبو بكر تفاوى بليوى (رحمه الله):

هو الحاج أبو بكر تفاوى بليوى أول رئيس لوزراء نيجيريا في عهد الاستقلال، ولد عام 1330هـ/1912م من أسرة مسلمة في بلدة تفاوا بليوا، وهي قرية صغيرة في إقليم ليري lere في إمارة بوتشي، تلقى تعليمه الأول في

[2] بيلو، صالح آدم، **من قضايا الأدب الإسلامي**، (جدة: دار المنار، ط1، 1985م)، ص52.

[3] قطب، سيد، **في التاريخ فكرة ومنهاج**، (جدّة: الدار السعودية، د-ت).

[4] قطب، محمد، **منهج الفن الإسلامي**، (القاهرة: دار الشروق، ط4، 1980م)، ص11.

إقليم بوتشي (1344هـ/1925م-1369هـ/1928م)، ثم التحق بكلية تدريب المعلمين كتسينا (1347هـ/1928م-1352هـ/1933م)، وبعد تخرجه عيّن مدرسًا ثم مديرًا لمدرسة كتسينا المتوسطة، وفي سنة 1943م كان أحد مؤسسي حلقة المناقشة Discussion circle الشهيرة في بوتشي، ثم التحق بمعهد التربية في جامعة لندن للحصول على شهادة التخصص التربوي (1364هـ/1945م-1365هـ/1946م) وبعد عودته إلى وطنه اختارته الإدارة المحلية في بوتشي لتمثيلها، ثم اختير عن طريق هذا المجلس كعضو يمثل اجتماع المجلس National House Of Assembly الإقليم الشمالي في المجلس التشريعي النيجيري National Legislative Council في العام 1367هـ/ 1948م أنشأ اتحاد مدرسي الشمال، وكان صادقًا في نقده للمؤسسات الحكومية ونظام الحكم على كل المستويات؛ فبرز بصفته المعبر الأول عن آراء أهل الشمال في السياسة ونظام الحكم. وكان أول رئيس للوزراء بعد استقلال، ثم قتل في ثورة دموية سنة 1386هـ/1966م[5].

خلاصة قصة مأساة العبيد:

تدور أحداث القصة حول تجارة العبيد، وكيف كانت تتم الإغارة على القرى الآمنة فتثير الرعب في قلوب سكانها، وكيف كانوا يعيشون مهددين في كل وقت مما يؤثر تأثيرًا كبيرًا على حياتهم، وكيف كان يستهين المغيرون بحياة من يقتنصونهم حتى إذا دبّ الخلاف بينهم على غلام واحد اقتنصوه قام أحدهم بتقطيعه إربًا إربًا كما تقطع أوصال الدجاجة ليوزعها على

[5] السيد، مصطفى الحجازي، **أدب الهوسا الإسلامي**، (السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1421هـ/ 2000م)، ص157-158.

رفاقه أشلاء ممزقة، وما يعانيه الرقيق في الطريق عبر الصحراء الكبرى من سوء الأحوال الجوية والعواصف الجوية.

وقد كان هؤلاء الرقيق يعاملون معاملة غير إنسانية، ويصف أحد الضباط الفرنسيين ما كان يلقاه هؤلاء الرقيق من معاملة سيئة فيقول: "كانوا يسيرون على مراحل، كل منها 40 كيلومترا، وكل الذي يقصر من القافلة يقتل فورًا، وكانت جثث القتلى تزرع على طرفي الطريق، وكثيرًا ما يجيء المخاض لإحدى النساء فتجلس القرفصاء، وعندئذ يدفعها أحد الجنود ببندقيته، فتضع طفلها ثم تتابع سيرها بعد رمية إلى جانب الطريق[6].

لقد كانت هذه المآسي دافعًا لأن يضع الحاج تفاوى بليوى قصته يصف فيها هذه المآسي، وتدور القصة حول طفل يتيم تركته أمه لدى إحدى جاراتها وذهبت لتزور أهلها في مدينة أخرى وبعد عودتها علمت أن أحد اللصوص سرق ابنها ليبيعه في سوق الرقيق، ويشتريه رجل عربي يأتي به إلى مصر ويتبناه ويعلمه القرآن وعلوم الدين، حتى يصير عالمًا كبيرًا، وتخرج أمه بعد علمها بما حدث لابنها، لتبحث عنه وتعرف أنه ذهب إلى مصر، فتلحق بإحدى القوافل المتجهة من كانو إلى صعيد مصر، فيخدعها قائد القافلة ويبيعها في الطريق، ثم تباع من تاجر إلى تاجر، وتتحمل ألوان العذاب سنين، حتى تلقى بابنها فجأة بعد خمسة عشر عامًا في مدينة طرابلس، وهو في طريقه عائدًا إلى مدينة كانو للبحث عن أمه، ثم تموت أمه بعد رؤية ابنها، ويستمر الشيخ عمر بطل القصة في سيره بعد أن مات سيده في عاصفة رملية، فيصل إلى مسقط رأسه ويهب حياته لتعليم الدين الإسلامي، وقد اكتسبت هذه القصة شهرة كبيرة[7].

---

[6] السيد، الحجازي، **أدب الهوسا**، المرجع نسه، ص103-104، و159-209.

[7] السيد، الحجازي، المصدر السابق، ص104.

تحليل القصة على ضوء خصائص التصور الإسلامي:

فقصة "مأساة العبيد" قصة إسلامية جاءت كرد فعل لما يحدث في بلاد الهوسا من إهدار كرامة الإنسان، حيث صار البشر سلعة يعرض للبيع في السوق السوداء، والهدف منها واضح إذن؛ وهو الدفاع عن الحرية، وليعيش الناس أحرارا في أوطانهم.

رموز القصة:

تشير القصة إلى ظاهرة بيع الرقيق والاسترقاق التي سادت الأجواء الأفريقية أيام الاستعمار، وتآمر المستعمرين مع سادة القوم في اقتحام بيوت الناس متى شاءوا، خلافاً لما لآداب الاستئذان في الإسلام، وقطع دابر القوم باختطاف رجالها واستحياء نسائها، وكل ما تبع ذلك من صروف الدهر وسوء الأحوال حيث دمروا البلاد والعباد، وعاثوا في الأرض فسادًا، يقطعون إنسانًا مثلهم إربًا إربًا إذا اختصموا، ويزرعون أشلاله في الصحراء إذا اغتربوا بغير ما اكتسبوا.

دور المرأة في القصة:

وهناك مغزى آخر، وهو تصوير عاطفة الأم الحنون في جانب، تخشى على ولدها، وعاطفة حسن الجوار من جانب جارتها التي رضيت أن تضمن لها سلامة ابنها حتى ترجع من زيارة أهلها، وعاطفة حب التآخي وصلة الرحم لزيارة الأقارب؛ كلها إيجابيات تصور لنا دور امرأة الهوسا المسلمة في المجتمع الأفريقي، ونجد في جانب عاطفة الإغارة والنهب في السارق الذي جاء وسرق الولد، يا ترى كيف كان الموقف يومئذ، صوّره لترى الإرهاب والقسوة والبطش، ثم بيع الولد في تسلسل مستمر إلى الغربة، لا يرى فيها من يتعاطف معه، كل هذا يصور للقارئ شدة قلوب الناس وقسوتها، وفي الرجال خاصة.

وصورة أخرى تدل على الصمود الإيماني عند المرأة المسلمة، موقف أم الغلام عندما عرفت أن ولد قد وقع في رقٍّ، لم تجزع بل تشمرت في بحث عنه وحلفت ألا تكتحل حتى تراه.

مصير مؤلم

ومشهد آخر رائع ومروع، هو خروج الأم للبحث عن ولدها من نيجيريا إلى مصر، متقلبة في البيداء مغامرة في الصحراء، وتقع كذلك في رقٍّ وبيع، وتظل في إيمانها صامدة، غير منقطعة الرجاء من رحمة الله أنها ستلتقي يومًا بابنها، وصدّقها ربُّها وجمعها بولدها، غير أنها لم تسعف بالحياة الطويلة، فماتت بعيد اللقاء بابنها مقرة العينين بفلذة كبدها، وأكبر منه أن الولد صار من ورثة الأنبياء، إلا أنه لا يرى أمه أيضًا أبدًا، وقد عاد إلى وطنه ونزل في بلاده كانو، وقصده الناس للعلم من كل فجٍّ عميق.

شخصيات القصة

تنوعت الشخصيات في هذه القصة، فمنها شخصية رئيسية، مثل أم البطل "شيخ عمر"، وشخصية نامية مثل البطل نفسه، وشخصية ثانوية مثل جارة أم البطل التي قامت بدور قصير، وشخصية السارق، شخصية التاجر العربي الذي اشترى البطل وربّاه تربية إسلامية وأدخله المدرسة ليكون عالما في المستقبل، ولكنه توفي بعد سنوات.

مدلول الأسماء في القصة:

وفي القصة أسماء الشخصيات ذات مدلول جميل ووسيم، يتفق مع موضوع القصة[8] "الشيخ عمر" يتفق مع دور العالم الكبير المتبحر وإمام في قومه.

---

[8] انظر، جنيد، جمال محمود سيد أحمد، **حاضر الأدب الإسلامي، مفهومه وقضاياه**، (د.ت، د.ط) جامعة الأزهر فرع البنات كلية الدراسات الإسلامية الربية، ص119.

"ماكو" –makau– لقب من ألقاب هوسا يدل على التحمل والجلد، وهو لشخصية زوج أمه بعد وفاة والده.

"كاغارا" و"مكرفي" و"زاريا" أسماء للمدن القديمة في شمال نيجيريا، تدل على قدم هذه القصة، و"مصر" من بلاد العرب تدل على سفر البطل إلى بلاد العرب مع السيد الذي اشتراه، وتذكر القارئ بقصة يوسف عليه السلام، وتفاؤلا أن مصر أرض الرجاء والأمل بعد اليأس.

الدين في القصة[9]:

وإن عنوان القصة لا يحمل مفهوم الدين بطريقة مباشرة، إلا أنه يتفق من قريب غير بعيد مع مبادئ الإسلام، حيث إن الإسلام لما جاء فهدفه هو أن يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وبناء القصة على حرية الإنسان مناسب تماماً مع مقاصد الدين الإسلامي، بل تارة ترفع الحرية على الإسلام، في حالة وجود غلام مجهول الأب، ثم جاء مسلم وقال إنه عبده، وجاء كافر وادعى أنه ولده، فإذا قدم الغلام إلى مسلم سيظل عبداً طول حياته، وأما إذا قدم لكافر فهو حرٌ، هنا تقدم مصلحة الحرية على الإسلام سداً لانتشار استعباد. ومما يدل على معالم الدين في القصة أيضاً شخصية البطل، وأكثر شخصيات أخرى، إطلاق لفظة الشيخ، وعالم، وطلب العلم، والأخلاق الطيبة من حسن الجوار، والبيئة المختارة للقصة، وما عاد إليه أمر البطل من الدعوة إلى الإسلام بالتربية والتعليم لين الجانب، وإقامة شعائر الدين مثل صلاة الجنازة على الميّت، وأبلغ دليل على معالم الدين في القصة هو افتتاحها بالآية القرآنية.

---

[9] انظر، جنيد، جمال... **حاضر الأدب الإسلامي**، المرجع السابق، ص123.

خاتمة

من حسن طرافة هذه القصة أنّها صورت لنا واقع الناس أيام الاحتلال الغربي الاستعماري في نيجيريا، وما سامهم المستعمرون من سوء العذاب، رغم ذلك استمرت الحياة، حيث استطاع البطل أن يعود عالماً، ويصور كذلك تمسك الهوسا السلم بدينه وغيرته عليه، وحفظه على عادته وتقاليده الاجتماعية من حسن الجوار، وأكبر من ذلك إيمانه القوي بقضاء الله وقدره.